

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي

-أم البواقي-

قسم اللغة العربية و

كلية الآداب و اللغات و العلوم

آدابها

الانسانية و الاجتماعية

د/ دحماني

هدى مخلفي

حمزة

السنة الجامعية:

2016/2015م

1437/1436هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

إليك يا من خلقت جسدي من طين و نفخت فيه الحياة و جعلتني أنطق بأحلى

العبارات وأكرمتني بنور العلم حمدي و شكري لك يا رب .

إلى من بلغ الرسالة وأدى الامانة إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم .

إلى من كلله الله بالهبة و الوقار الى من علمني العطاء دون انتظار... إلى من أحمل اسمه

بكل افتخار ارجو من الله أن يمد في عمرك أبي العزيز مراد.

إلى ملاكي في الحياة الى معنى الحب، وإلى معنى الحنان و التقاني ... إلى بسمة الحياة

وسر الوجود إلى من دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي الى أغلى الحبايب أمي

الحبيبة حورية

إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي الى من بوجودها أكتسب قوة و محبة لا حدود لها أختي

أسماء

إلى من تقاسمت معهم حلو الحياة ومرها واعتز بكونهم اخوتي :العربي -رضوان-

سليمان و زوجاتهم:أمينة- خضرة- أميرة

إلى الكتاكيت الصغار :رحمة-أنس-أماني -ضياء

إلى أستاذي الدكتور: حمزة دحماني الذي كان لي نعم الرسول المبلغ.

وإلى كل من نسيتهم بقلمي لكن لم أنساهم بقلبي. * هدى *

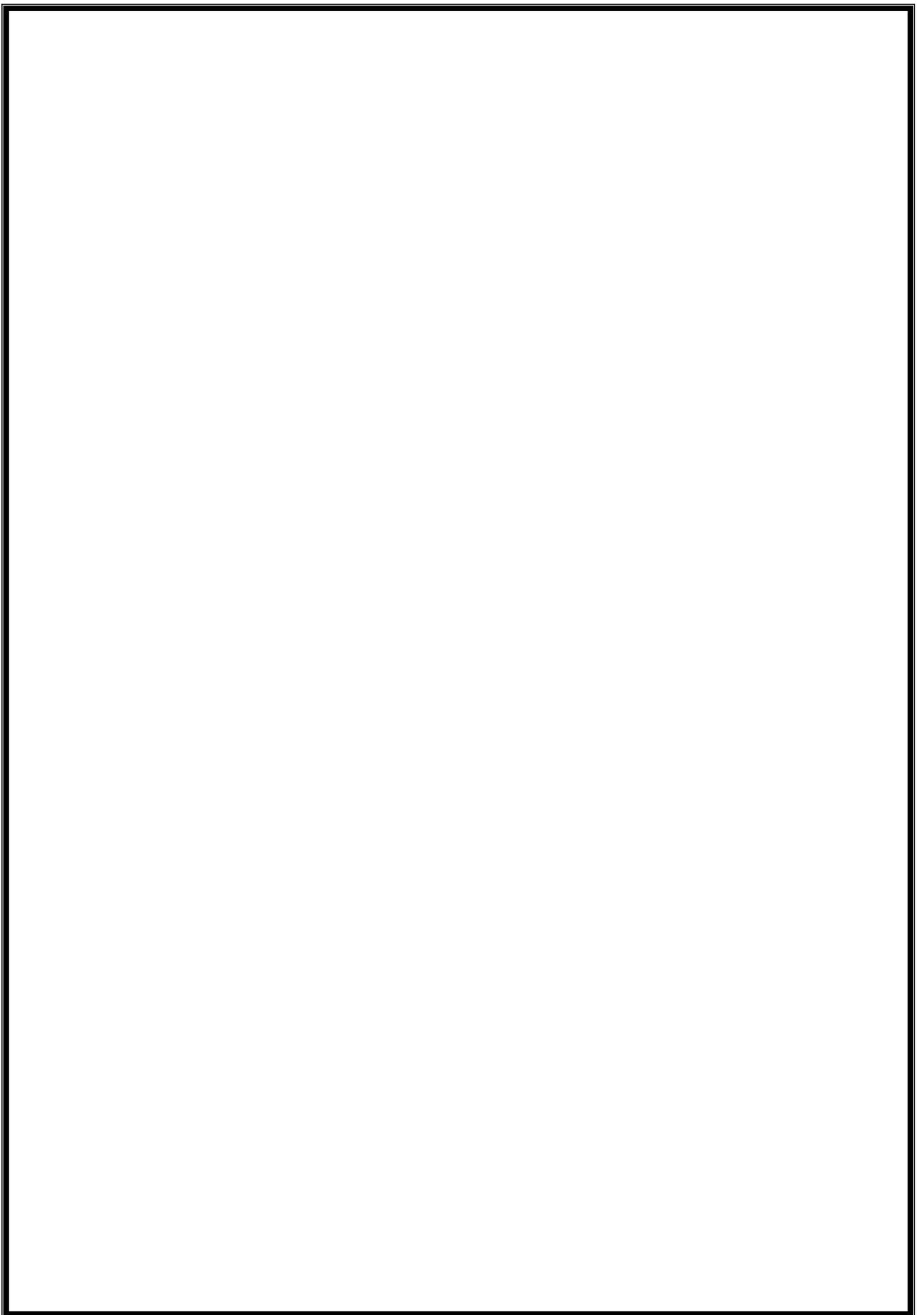


الشكر الأول والآخِر لله عز وجل الذي أنعم علينا بنعمه و
رحمته. كما

يشرفني أن أتقدم بأسمى معاني الشكر و التقدير إلى الأستاذ
المشرف الذي كان بمثابة الأب المرشد "حمزة دحماني" تقديراً له
على المجهودات والمساعدات التي قدمها لنا وله كل الاحترام و
الشكر و التقدير.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية.

~ هدى



مقدمة:

الحمد لله المحمود على كل حال, والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى

آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

لقد ظلت اللّغة تستدعي إهتمام الإنسان من حيث هو إنسان ,لأنه لا إنسان دون لغة

ولا علم ولا فن ولا حضارة دون لغة, بل لا دين إلا باللّغة.

اللّغة كالعقل من أخص خصائص الإنسان وليست مجرد عرض من أعراضه.

ووسيلة الإنسان الأساسية في عملية التواصل هي اللّغة المنطوقة والمكتوبة فهو

يحاول بناء ذاته, وعلاقاته بمحيطه بهذه الوسيلة.

وأول ما يهتم الإنسان في هذه الوسيلة(اللّغة)هو كيف يستطيع جعلها تدلّ على ما

يريده دلالة مضبوطة؟

ونحن نعلم أن اللّغة تتكون من ألفاظ وتراكيب محدودة.يضطر الإنسان إلى تنويع

التوظيف لمكوناتها, ولكن هذا التنويع قد يؤدي بنا إلى الغموض إذا لم يؤطر الفرد هذه

المكونات, ليدرك منها الآخرون ما يريده هو, ومن ثم فالمهم في اللغة ليس تراكيبها وأجزاءها

وإنما المهم هو كيف تضبط دلالة هذه التراكيب على المعاني المرادة؟

وقد اشتهرت كتب البلاغة والفلسفة والتفسير بدراستها لهذا الجانب الدلالي للغة ولم

توسم المعاجم بذلك,لأنها تجمع لنا مفردات بتراكم معانيها التي تستعمل في مختلف الميادين

والأزمان دون ضبط متى تكون دلالة هذه اللفظة على المعنى الأول ومن تدل على الثاني وهكذا.

ولقد وجدت أن من بين المعاجم كتاب أساس البلاغة للزمخشري الذي ارتقى باللفظة اللغوية من مستواها المعجمي إلى مستوى دلالتها المتنوعة بتنوع الموقف وهدف المتكلم مع حرصه كل ذلك على جمال المظهر وحسن الوقع. وهذا ما يعد من الأسباب الأساسية التي دفعت إلى البحث في هذا الموضوع.

الموسوم: ضوابط دلالة الألفاظ في معجم أساس البلاغة للزمخشري بغية الوصول إلى:

1- تبين أن معجم أساس البلاغة معجم متميز عن باقي المعاجم التي تجعل هدفها الأول هو جمع المفردات وإحصاءها.

2- أن هناك ضوابط تتحكم في اللفظ اللغوي أثناء إطلاق الإنسان له، وتبين مدى عظم الجهد الذي بذله علماء اللغة في دراسة هذه الضوابط.

3- تحديد الضوابط التي توفرت في معجم أساس البلاغة التي أطرت الدلالة في

الألفاظ

وقد بدأت هذا البحث بمدخل وضحت فيه بعض المصطلحات التي ذكرت فيها مثل

الضابط، الدلالة.

ثم جعلت الفصل الأول وصف لمعجم أساس البلاغة بينت فيه حجم المادة وترتيبها وطريقة شرح الكاتب لها ولكل ذلك علاقة بالدلالة مع لمحة مختصرة عن المعجم العربي وتبيين أهم خصائص أساس البلاغة.

وفي الفصل الثاني تطرقت إلى الضوابط اللغوية في معجم أساس البلاغة وهي الضابط المقامي والضابط العقلي

ثم ختمت هذا البحث بملخص أثبت فيه النتائج التي توصلت إليها متبعة في ذلك المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل.

وأما عن أهم المراجع المعتمدة في البحث: الخصائص " لابن جني"، أساس البلاغة "للزمخشري"، المزهر " للسيوطي".

ولا يخلو البحث من الصعوبات إلا أنها لم تنتهي عزميتها في إنجاز المذكرة ومن هذه الصعوبات: كثرة المراجع مما أدى لصعوبة الاختيار، ضيق الوقت.

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات كتب لهذا البحث رؤية النور وهذا كان الفضل فيه لله أولاً ثم للأستاذ المشرف الذي أتقدم له بالشكر الجزيل.

وإني لا أدعي الإتيان بشيء جديد إنما أتيت به هو محاولة علمية جادة أبتغي من ورائها المنفعة العامة والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مدخل :

مفهوم الدلالة والضابط

1. معنى الدلالة لغة واصطلاحاً:

لقد تطرق الكثير من العلماء اللغويون إلى دراسة علم الدلالة والاهتمام به.

أ- لغة:

د،ل: أدل عليه وتدل: انبسط، ودل المرأة ودلالها: تدلها على زوجها الدلال للمرأة والدال حسن الحديث وحسن المزح والهيئة، ودلت بهذا الطريق عرفته ودلت به أدل، دلالة، و أدلت بالطريق إدلالاً، والدلال الذي يجمع بين البَيِّعَيْن، والاسم الدَّلالة والدِّلالة، الدلالة: ما جعلته للدليل أو الدلال والدلالة بالفتح: حرفة الدلال، ودليل بين الدلالة بالكسر

لاغير¹

وجاء في أساس البلاغة "دل: دله على الطريق، وهو طريق المفازة، و أدلت

الطريق: اهتديت إليه ومن المجاز: الدال على الخير كفاعله: ودله على الصراط المستقيم"²

و"قوم دلال بالضم تدلوا بين أمرين فلم يستقيموا"³.

فمن خلال المعاجم التي رجعت إليها وجدت أن (د.ل.ل) تعني الإظهار والاضطراب

1 لسان العرب ، أبي جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت ، لبنان، ص 292

2 أساس البلاغة ، للزمخشري جار الله أبو القاسم محمد بن عمر، تح: عبد الرحمان محمد، عرف به أمين خولي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ل ل)، ص 134

3 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الجبل، بيروت، لبنان، 388/3

ب- اصطلاحاً:

حدّد مفهوم علم الدلالة على أنه من "العلوم العريقة في تاريخنا اللغوي، فهو يمتد من القرن الأول أين اعتنى العلماء بدراسة الألفاظ القرآنية إلى القرون المتأخرة أين وضعت فيها الكتب المتخصصة، وهذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصله الدارسون في جوانبها"¹. فهو العلم الذي يدرس المعنى وهذا ما يبرزه تراثنا الثري ومجهود علمائنا الأجلاء في هذا الميدان.

ويعرف على الجرجاني علم الدلالة بقوله: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بالشيء الآخر و الشيء الأول هو الدال و الثاني هو المدلول"²، أي هي إحالة بمعنى آخر أو إحياء لمعانٍ جديدة انطلاقاً من الكلمة الأولى.

و يُعرّفه أحد الباحثين "أنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"³.

من هذه التعريفات يتبين أنّ موضوع علم الدلالة هو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، و تختلف هذه العلامات أو الرموز وتكون إما إشارة باليد أو إيماة بالرأس، أو تكون هذه العلامات و الرموز غير لغوية و تحمل معنى.

1 علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1985، ص 06
2 التعريفات، الشريف الجرجاني، مؤسسة الحسيني، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006، ص 97-98
3 علم الدلالة، أحمد عمر مختار، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، 1998، ص 11.

وهناك من الدارسين من يرى أن علم الدلالة علم عربي خالص له مصطلحاته ومناهجه وضعها العلماء القدامى ،أبدعوا فيها وما من منهج أو مصطلح غربي إلا وله ما يقابله أو ما يغنيها عنه في دراستنا العربية ولذلك عمل هؤلاء على تأصيل هذا العلم. فعلم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى والذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى.

"وغايتنا من تناول الدرس الدلالي على هذا المنهج التأصيلي، هي أن تشكل الدلالة علما عربيا له شخصيته ، مما يساعد على إنجاز تطبيقات حديثة بوضوح ووعي لدى اللغويين و النقاد وهم يتأملون أمثلة و شواهد من النصوص العربية"¹.

ومما يلفت الانتباه هو التطور السريع لهذا العلم في السنوات الأخيرة وهذا يعود لأهمية هذا الجانب اللغوي إذ تعتمد عليه كثير من الميادين الثقافية و الإعلامية و السياسية ،و أصبح التواصل الحضاري يستند إليه بشكل ملموس و لعل ذلك ما حفز علماء اللغة المحدثين إلى الاعتناء أكثر بهذا الجانب إضافة إلى دافع الغيرة على اللغة.

و منه نستنتج أنّ الرّابط بين التعريفين اللّغوي والاصطلاحي هو الاهتمام إلى السبيل و معرفة الطريق، وتوجيهه، ولا يكون ذلك إلاّ بإشارة أو علامة، فكلاهما اهتمام إلى القصد إلا أنّ الأول اهتمام في الأرض ومسالكها والثاني اهتمام إلى معاني الكلمات في الذهن.

المقصود بالضابط لغة واصطلاحاً:

قبل الولوج في الحديث عن الضابط ،لابد علينا من تحديد مفهوم لغوي واصطلاحاً.

1- لغة:

لمادة (ض ب ط) تعاريف مختلفة ومتعددة ،فقد وردت في معجم العين على أن "ضبط: الضَّبُّبُ لزوم الشيء لايفارقه في كلِّ شيء، ورجل ضابط شديد البطش والقوة والحزم"¹.و "ضبط: الضبط لزوم الشيء،وحبسه، ضبط عليه وضبطه يضبطه ضبطاً وضباطة وقال الليث: الضبط لزوم الشيء لا يفارقه في كل شيء،وضبط الشيء حفظه بالحزم،والرجل ضابط أي حازم... والضابط:القوي على عمله ويقال فلان لايضبط عمله إذا عجز عن ولاية ماوليه، ورجل ضابط: قوي على عمله"².

أما في أساس البلاغة ف"ضُبطت الأرض بالضم: مُطرت، وبلد مضبوط مطرا: معموما بالمطر"³.

وهذه الأقوال نستنتج أنّ مادة ضبط في اللغة جاءت بمعنيين هما الحفظ في القوة والحزم والثاني للإحاطة والشمول.

اصطلاحاً:من خلال المعنى اللغوي اتضح أنّ الضابط يضبط الأحكام التي تتدرج تحته،ويطلق لفظ ضابط أو قاعدة دون التفريق بينهما القاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط وهي الأمر الكلي المنطبق على كلّ جزئياته.

1 معجم العين، الخليل بن احمد الفراهيدي،تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، 6/1، 3.

2 لسان العرب ، لابن منظور،(ض ب ط)، 9/12.13.

3 أساس البلاغة ، للزمخشري،(ض ب ط) ،ص265

أما السكاكي فيرى أن "الضابط هو ذلك الإطار الذي يحيط باللفظ في تركيب معين

فيؤطر المعنى ويمنعه من الإتساع الذي يوقع السامع في الحيرة والغموض"¹

وتحسن الإشارة هنا إلى أنّ الضوابط التي يتحدد من خلالها المعنى قد تتعدد و تنتوّع

بحيث لا يمكن لضابط واحد حصر المعنى بين حروف الكلمة الواحدة و إنّما لتحقيق ذلك

لابد من الاستعانة بضوابط أخرى .

فمهمة الضابط تهييج معنى معين في الذهن وذلك عن سماع لفظ معين وإن كان هذا

اللفظ واسع المعنى أو متعدد فالضابط يلقي ضوءاً مُركزاً على واحد من تلك المعاني

المتعددة.وبهذا فقد اعتنى علماء العربية بالمعنى وبذلوا في ذلك جهوداً كبيرة و يرجع ذلك

لتقديسهم للغة و تحديدهم لوظيفتها السامية .وقد يدل الضابط على المعنى المفسر كما جاء

في التفسير اللغوي للقرآن الكريم ما نصه:"الضابط أن يكون المعنى المفسر به صحيحاً ."²

المراد من هذا القول أن يكون اللفظ المفسر لألفاظ القرآن وارداً عن العرب ، وهذا

الضابط يفيد في ردّ التفسير التي يظهر عليها الصبغة اللغوية، وعند التحقيق يظهر أنّها

لاتمت للغة العرب بصلة.

1 مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2
ص16.

2 التفسير اللغوي للقرآن الكريم،مساعدة بن سليمان بن ناصر الطيّار، دار ابن الجوزي، الرياض، ص612.

أما الضابط كما استعملته، فهو يقابل عند علماء البلاغة ما يسمى بالقرينة ، التي تهدي السّامع إلى المعنى المقصود ؛ كما تعرض إلى ذلك علماء أصول الفقه ، والقرينة فيما سبق قد تكون لغوية (نحوية ، صرفية) أو تكون غير لغوية (عقلية ، مقامية).

الفصل الأول

وصف معجم أساس البلاغة

للزمخشري

تعريف المعجم:

■ لغة:

المعجم في لسان العرب من "العُجم والعجم: خلاف العُرب والعرب، ويقال نقل مُعجم وأمر معجم إذا اعتاص، معجم: الخط الذي أعجمه كاتبه بالنقط، والمعجم: الحروف المقطعة سميت معجماً لأنها أعجمية.

المعجم: مصدر بمنزلة الإعجام كما نقول أدخلته مُدخلاً وأخرجته مُخرِجاً أي إدخالاً وإخراجاً، ونقول حروف المعجم لأنه ليس معناه حروف الكلام والمعجم ولا حروف اللفظ المعجم إنّما المعنى أن الحروف هي المُعجّمة، حروف المعجم سميت بذلك من التعجيم وهي إزالة العجمة بالنقط".¹

فالمعجم هو الحروف المقطعة سميت معجماً لأنها أعجمية وإذا قلنا كتاب معجم فإن تعجيمه تنقيطه كي تستيسر عجمته وتتضح. والأعجم الذي لا يفصح، وامرأة عجماء: بينة العجمة، العجماء: البهيمة لأنها لا تتكلم.

"سألته فاستعجم عن الجواب، وفي الحديث من استعجمت عليه قراءته فليتم وكتاب

أعجم إذا لم يفهم ما كتب، وباب الأمير معجم أي مبهم ومقل ...

والمعجم لمن إذا أعجمته الأمور وجدته متيناً وعوده صليب لا تحيك فيه العواجم".²

1 لسان العرب، لابن منظور، 50/10

2 المعاجم اللغوية بدايتها و تطورها، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت، 1972، ص9

■ اصطلاحاً:

إنَّ تعريف المعجم بالمعنى العلمي "هو كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وبتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً إما على حروف الهجاء، أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها"¹.

فالمعنى الاصطلاحي لكلمة المعجم هو كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها. ويتحدث أحد الباحثين عن المعجم مشيراً إلى ماهيته وطبيعته حيث لاحظ أن المعجم هو ذلك الكتاب الذي يطمح صاحبه " إلى تقديم المعرفة من قصور في تواصلهم ومن هذا الجانب يتبدى المعجم واسطة اكتساب معلومات أو النقل اكتساب زاد معرفي؛ أو لتحقيق من سلامة المادة اللغوية المستخدمة"².

ولم يكن اللغويون أوّل من استخدم لفظ معجم، وإنّما سبقهم إلى ذلك رجال الحديث النبوي، فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب المرتب هجائياً، والذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث و يقال " إنَّ البخاري كان أوّل من أطلق لفظه معجم، وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم .

1 الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1984، 38/1

2 مدخل إلى الألسنية، يوسف غازي، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، سوريا، ط1، ص203

أمَّا اللُّغويون القدماء فلم يستعملوا لفظ معجم، ولم يطلقوه على مجموعاتهم اللُّغوية، و
إنَّما كانوا يختارون لكلِّ منها اسماً خاصاً، فهذا العين، وذاك الجمهرة وآخر الصحاح. أمَّا
إطلاقنا معجم على هذه الكتب فإطلاق متأخر

و كلمة (المعجم) مرادفة لكلمة (قاموس): من استعملات العصر الحديث إطلاق لفظ
القاموس على أيِّ معجم سواء كان باللغة العربية، أو بأيِّ لغة أجنبية أو مزدوج اللغة و
"لفظ القاموس في اللغة هو قعر البحر، أو وسطه أو معظمه"¹.

ومرجع هذا المعنى الذي ألصق بلفظ قاموس أنَّ عالماً من علماء القرن الثامن
الهجري، وهو الفيروز أبادي ألف معجماً سمَّاه القاموس المحيط، وهو وصف للمعجم، بأنَّه
بحر واسع أو عميق .

إنَّ مصطلح المعجم اشتق منه مصطلح المعجمية و مصطلح القاموس اشتق منه
مصطلح القاموسية. وما يميز العلمين ظاهرياً المعجم و القاموس هو قيام الأول على دراسة
معجم اللغات في مستوي المنجز و الممكن معا من أجل استنباط قوانين عامة للمعجم و
اقتراح نظمه له. إنَّ وظيفة المعجم قديماً، كانت في الغالب تقتصر على الفهم أي شرح
معنى كلمة غامضة أو غريبة، و تعدّ هذه الوظيفة حقيقة أساس في كلِّ أنواع المعاجم في
التقديم وفي العصر الحديث .

¹ لسان العرب ابن منظور (ق م س)

١١. لمحة تاريخية عن المعجم العربي:

عرفت الأمم القديمة قبل العرب تأليف المعاجم كالأشوريين والصينيين واليونانيين حفاظاً على لغتهم، وتلك فطرة مجبول عليها الإنسان، ثم جاء العرب بعد ذلك وبعد أن حل عندهم الوافد الجديد ألا وهو القرآن الكريم حاملاً معه تعاليم الإسلام بلسان عربي مُبين فدرسوه وفقهوه وتعلقوا به وراحوا يستظهرونه ولا يألون في خدمته جهداً، وما أن توسعت رقعة الفتوحات الإسلامية ودخلت الأمم الأعجمية في الإسلام، وأخذت تتكلم العربية، وهي لا تسلم في ذلك من اللحن والخطأ إلا وشعر المسلمون العرب أن لغة القرآن في خطر، فانبروا بكلّ جدية لرد هذا الداهم بتحسين اللّغة من جميع جوانبها نحواً وصرفاً ونطقاً... وألّفوا في ذلك كتباً وكان أشهر هذه الكتب تلك التي تجمع مفردات اللّغة بين دفتيها وهي ما سميت بالمعاجم فيما بعد"¹.

فنستخلص من ذلك أن الدافع الذي كان وراء تأليف المعاجم عند العرب هو الحفاظ على لغة القرآن الكريم التي باتت تهدّدها لكثرة الأعاجم من جهة وضعف الجنس العربي الخالص،

واختلاطه بغيره من الأمم الأعجمية من جهة أخرى.

وفضل العرب في تأليف المعجم ليس هو السبق إلى ذلك بل المزية تعود لهم في كونهم أوّل من ألّف معجماً جامعاً، ونعني به كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

1 المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة، ط 1، ص 25.

(ت175) الذي كان فيه مبدعا لا مقلدا، حيث نجده اعتمد في ترتيب مادته مخارج الحروف، فبدأ بالعين ثم الحاء ثم الهاء إلى حروف الشفة: الفاء والباء، والميم، ثم الحروف الهوائية كما اتبع نظام التقليلات.¹

أي أن معاجم العربية شاملة فهي التي تشمل ألفاظ اللغة كلها وأول من ألف معجما شاملا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم العين وتابع بعده التأليف إلى العصر الحالي.

وتوالت الجهود بعده، لما شق لها الطريق وسهل لها الصعب فجاء كتاب الجماهرة لابن دريد (ت 231هـ) ثم التهذيب للأزهري (ت370هـ) والمحيط لابن عباد (ت 385هـ) وبعده مقاييس اللغة والمجمل لابن فارس (ت395هـ) ثم الصحاح للجوهري (ت400هـ) والمخصص لابن سيدة (ت 458 هـ) وبعدها جاء أساس البلاغة للزمخشري ولسان العرب لابن منظور (ت711 هـ) فالقاموس المحيط للفيروز أبادي (ت817هـ) وهكذا...²

فالجهود كانت متواصلة ومستمرة لشق الطريق وتسهيل الصعاب فكانت نتيجة هذا الترتيب الزمني للمعاجم. والناظر للموروث اللغوي القديم يرى أن هناك طريقتان في تأليف المعاجم العربية:

الطريقة الأولى: اعتماد الألفاظ سواء بمراعاة مخارجها كما فعل الخليل أو بتبني الترتيب الألفبائي المعروف عندنا الآن كما وضع الزمخشري في أساس البلاغة .

1 السابق، ص 26.

2 أساس البلاغة للزمخشري، ص 26.

الطريقة الثانية: اعتماد المعاني بحيث يحاول صاحب المعجم حصد الكلمات ذات المعنى الواحد أو المتقارب في باب واحد كما فعل أبو زيد في كتاب اللين والأصمعي في كتاب الإبل والشاء¹.

III. حجم المادة اللغوية في أساس البلاغة

"إن أساس البلاغة إذا ما قورن بمعاجم أخرى، من حيث حجم المادة مثل الصحاح للجوهري، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، ولسان العرب لابن منظور نجده أقلها حجماً فمجموع ما يضم الصحاح من فصول اثنتان وثلاثون وستمئة فصل (632)، ولسان العرب وهو أضخمها حجماً يضم ثمانين ألف مادة"².

أما أساس البلاغة يضم ثلاثة آلاف وسبعمائة وواحد وثلاثين (3731) مادة، موزعة على ثمانية وعشرين كتاباً، بعدد حروف المعجم ولعل توسط حجم مادته راجع إلى هدف صاحبه من تدبيح هذا السفر، إذ كان هدفه هو التركيز على مواطن البلاغة والرونق في استعمال اللفظة العربية ولم يكن هدفه كما هو الحال عند صاحب اللسان مثلاً جمع مفردات اللغة ما قرب منها وما بعد، وإنما أراد الكاتب أن يهذب الأذواق ويصقل المواهب اللسانية عند المنشغلين باللغة .

فقد جاء في مقدمة معجمه "...فمن حصل هذه الخصائص، وكان له حظ من الإعراب، الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقاييسها، ومعيار حكمة الواضع، وقسطاشها،

1 التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، محمد متعب الصيادي، مكتبة دراسات الوحدة العربية، ط3، 1989، ص257

2 ينظر، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، الجوهري، ص29

وأصاب ذروا من علم المعاني وحضي برش من علم البيان، وكانت له قبل ذلك كله قريحةً صحيحةً وسليمة، فحلّ نثره، وجزل شعره، ولم يطل عليه أن يناهز المقدمين، ويخاطر المقرمين¹

إذن نستنتج أن الزمخشري يفترض فيمن يطلع على كتابه أن يكون على حظ وافر من الإعراب وعلم المعاني والبيان ولعل ذلك ما جعله يسميه أساس البلاغة، والبلاغة -كما نعلم- هي المرتبة العليا والشرف الرفيع، والمقصد الأسمى الذي يتطلع إليه الأدباء والشعراء. والزمخشري أراد أن يضع لكل مشتغل بالعربية أساساً متيناً، تبني عليه فصاحة وبلاغة كلامه، ومن ثم انتقى في شرح الكلمات ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمال المفلحين². فمعجم أساس البلاغة زاخر بالكلام البديع والتراكيب المنتقاة.

ترتيب المواد في أساس البلاغة:

هناك نوعان من المعاجم: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني والذي يهمنا هنا النوع

الأول المتبع إحدى الطريقتين:

الطريقة الأولى:

هي ترتيب الكلمات حسب مخارج أصواتها، وهذا الترتيب ينسب إلى الخليل بن أحمد

الفراهيدي في معجمه العين.

1 أساس البلاغة، للزمخشري، ص 08.

2 نفسه، ص 08.

الطريقة الثانية:

وهي التي اتبع فيها أصحابها الترتيب الألفبائي المشهور الآن وأول معجم سار عليه هو الجمهرة لابن دريد(231هـ) إذ راعى ترتيب أوائل أصول الكلمات، فكان يبدأ بالحرف الذي توقف عنده، أخذاً بالحرف الذي يليه، تاركاً ما سبقه.

"وقد رتب الكاتب على أشهر ترتيباً متداولاً وأسهله متداولاً يهجم الطالب على طلبته موضوعة طرف التمام وحبل الذراع، من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلى الإيجاف والإيضاح"¹

فمعجم أساس البلاغة اتبع الترتيب الهجائي بأكثر دقة إذ كان الحرف الأول في الكلمة مراعي الحرف الثاني بعد ذلك ويبدأ كل حرف بالهمزة ثم الباء ثم التاء إلى الياء وهكذا مع كل الحروف.

ولا أختتم الكلام عن حجم المادة وترتيبها قبل أن أسير أن الزمخشري هدفه هو انتخاب مجموعة من الألفاظ العربية التي يرى فيها البلاغة وسهولة النطق ووفرة الدلالة.

طريقة شرح الكلمات في أساس البلاغة:

الناظر إلى مورثنا اللغوي في باب المعاجم يجد كمّاً هائلاً من المؤلفات التي اعتنت بجمع مفردات اللغة العربية، ولا يلبث هذا الناظر حتى يعن له سؤال وجيه وهو:

1 أساس البلاغة، للزمخشري، ص08.

لماذا تعددت المعاجم في اللغة العربية، ولم يقتصر العلماء على معجم جامع لكل ألفاظ اللغة في حين نجد لمعاجم عبر التاريخ تشترك في جل المواد المحصورة في اللغة حتى أننا نجد معجماً من حيث المادة جزء من معجم آخر؟

والجواب على ذلك هو: "أن هدف كثير من المعاجم العربية خاصة المتأخرة ليس هو جمع المادة اللغوية كي لا تضيق لأن ذلك قام به علماء من قبل، ولكن الهدف هو تبين معاني المفردات ودلالة الألفاظ"¹

الزمخشري مثلاً سبقه كثيرون في تأليف معاجم ضخمة من حيث حجم المادة، ولكنه لما رآها واطلع عليها عزم على تأليف معجم لشرح وتوضيح دلالات المفردات شرحاً وتوضيحاً

فالزمخشري اعتمد على العبارات والجمل في شرح الكلمات على عكس المعاجم الأخرى، التي تشرح كلمة بكلمة "فمن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين أو ما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تلمح وتحسن ولا تتقبض عنها الألسن"². ويكون الزمخشري بذلك قد أدرك الحقائق التالية:

1 المعجم العربي، حسين نصار، مكتبة مصر، الطبعة الثالثة، 2، 705/1968

2 أساس البلاغة، للزمخشري، بتصرف، ص08

أ- الحقيقة الأولى:

"وهذا ما جعل الباحثين ينظرون إلى أساس البلاغة على أنه معجم أدبي أكثر منه معجماً لغوياً"¹، فالمعجم العربي ليست مهمته الوحيدة جمع المادة ليعلمها للناس بل إضافة إلى ذلك فهي محاولة تهذيب وصلل اللغة ورفع مستوى فهم المفردات.

ب- الحقيقة الثانية:

أن الكلمة لها وسط لا تحيا لحياة طيبة إلا فيه، كالإنسان تماماً، كلما هيأنا له ظروفها جيدة وحسنة كلما عاش هنيئاً وأعطى أكثر، والكلمة إذا وضعت في تركيب مناسب نفخ فيها الحياة، وألهمها قوة النفاذ، ولا يخفى علينا أن الإنسان العربي وكل إنسان لا يحس بجمال الكلمة، إلا إذا قدمناها له في إطار كامل متكامل، وهذا مايفسر جانباً من إعجاز القرآن الكريم

إذ جاء العرب خلص بكلمات يتداولونها فيما بعد بينهم ولكنه وضعها في قوالب بلاغية أخذ بألبابهم وحيرت عقولهم.² وهذا هو الجانب الذي يتفاضل فيه البلغاء والفصحاء، و الزاوية التي تنتفس منها اللغة كي تحيا وتتطور عبر العصور دون خوف من الاندثار والتلاشي.

1 الرخمشري لغويا ومفسراً، مرتضى آية الله زاده، دار الثقافة، القاهرة، سنة 1977، ص 266

2 ينظر إعجاز القرآن والبلاغة، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رباب، الجزائر، ص 156، 157

ج- الحقيقة الثالثة:

"... درسها حتى تمثلها تمثل منقطع النظير في تفسير آيات الذكر الحكيم مركزا

على نظمها ونسقها وأخذ بعضها بأعناق بعض"¹.

ومنه نستطيع القول أن أساس البلاغة واعتماده على التركيب والنظم في تبين دلالات

الكلمات، ومظهر من مظاهر تطبيق الزمخشري لنظرية النظم والتي أصبحت من المسلمات

عنده. وسأعرض بعض الأمثلة لتفسير الزمخشري الألفاظ بالتركيب موازنا إياها بما ورد في

معجم آخر من معاجم اللغة العربية:

1. مادة روح:² الملائكة خلق الله الروحاني، ووجدت روح الشمال، وهو برد

نسميها وغصن مروح.

ونقول: أراح فأراح، أي مات، فالمستريح منه، وشرب الراح، ودفعه بالراح، وراوح بين

عملين المشي يراوح بين رجليه.... وإن يديه ليتراوحيان بالمعروف وراحو إلى بيوتهم رواحا،

ومن المجاز : أتانا ومافي وجهه رائحة دم، إذ جاء فرقا، وذهبت ريحهم دولتهم، وإذا هبت

رياحك فاغتتماها، ورجل ساكن الريح، وقور وتحابوا بذكر الله وروحه وهو القرآن.

الروح بالضم ما به حياة الأنفس، والقرآن والوحي وجبريل وعيسى عليهما السلام

والنفخ وأمر النبوة وحكم الله تعالى.

1 البلاغة تطور و تاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السادسة، ص220

2 أساس البلاغة، للزمخشري، (ر و ح)، ص183.

كما قال: وحدث روح الشمال... وما في وجهه رائحة دم ، حيث عقب على الأول

بقوله:

وهو برد نسميها، وعلق على الجملة الثانية إذا جاء فرقا، بينما اعتمد الثاني الألفاظ في إعطاء المعاني، فيقرر أن الروح تأتي بمعنى: الحياة والقرآن وجبريل وعيسى دون أن ينظمها في سياقات.

2. مادة كرر:

انهزم عنه ثم كر عليه كرورا، وكر عليه رمحه، وفرسه كرا، وكر بعدما فر وهو مكر مقفر، وكرار، وكررت عليه الحديث تكرارا، وكر على سمعه كذا... وناقاة مكره تحلب في اليوم مرتين، ولهم هرير وكرير قال الأعشى:

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَوْمَ النَّزَالِ إِذَا كَانَ دَعْوَى الرَّجَالِ الْكَرِيرَا

وهو صوت في الصدر كالحشرجة. وفعل ذلك كرة بعد كرة وكراتٍ، وآتية في الكرتين وباتت السحابة تكررهما الجنوب: تصرفها، وقرقر الضاحك وكركر هذا في أساس

البلاغة

والكرة بالضم: المرة والجمع كرات، والكرتان: القرتان وهما الغداة والعشي وهذا ما جاء في صاحب الصحاح.

والكر: الرجوع والكرير: صوت كصوت المحوق... وكررت الشيء تكريرا وتكرارا.

وتكرر الرجل في أمره: أي تردد والكركرة في ضحك مثل القرقرة والكركرة تصريف

الريح السحاب،¹ والكر: الطعام

وإذا ما أردنا الموازنة بين ماجاء في هذه المادة في أساس البلاغة نجده يحبك الكلمة في سياق معين يجعل القارئ يصل إلى المعنى من خلاله، وفي بعض الأحيان يتبع السياق كلمة توضيحية له مثل قوله: وباتت السحابة تكرر كرها الجنوب: تصرفها أما في الصحاح فكان يعطي لكل صورة من مادة "كرر معناها بلفظ آخر مثل الكر، الرجوع"²

الاستشهاد في أساس البلاغة:

من أهم خصائص أساس البلاغة خروجه على محوري الزمان والمكان اللذان وضعهما علماء العربية للاستشهاد، فحصره من الناحية الزمنية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة في الحواضر والقرن الرابع للهجري في البوادي ومن الناحية المكانية حددوا بعض القبائل العربية ولم يأخذوا من ثم اللغة "عن حضري قط ولا عند سكان البوادي، ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإذا لم يؤخذ لا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاة وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين اليونان ولا من بكر

1 أساس البلاغة، (ك ر ر)، ص 389.

2 الصحاح، الجوهري، 804/2.

لمجاورتهم الفرس، ولا من أهل اليمن لمخالفتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان

اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم".¹

أما الزمخشري فنراه يسقط هذين المقياسين، لأنه فهم جيدا أن اللغة التي يعتد بها هي

تلك التي تؤدي وظيفة التواصل بين المتعاملين بها على أكمل وجه، دون أن يربط ذلك بزمن

أو شخص أو أمة وهذا ما يوحي به قوله في مقدمته لمعجمه: "ومن خصائص هذا الكتاب

تخير ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين"².

ويكون بذلك المؤلف قد قدم لنا خدمة كبيرة فيما يخص التطور التاريخي لمدلول

الكلمة حتى القرن السادس للهجرة وقت تأليف المعجم وبتصنيف الزمخشري لمعجمه فهو

يقدم لنا عن دلالة الكلمات عنصرين من العناصر التي يهتم بها فن القول في تحديد هذه

الدلالة

✓ أول هذين العنصرين: هو أثر الاستعمال في حياة الكلمة وتعيين

دلالتها وثاني عنصر هو شيء عن إحياء الكلمة ووقوعها على نفس سامعها.

وبذلك يساعد الزمخشري النقاد والمبدعين على تتبع تطور دلالة الألفاظ في نصوص

أدبية راقية في أزمنة مختلفة مع ماتعطيها هذه التراكيب من إحياءات أخرى للكلمة بكلمة أخرى

1 المزهر في علوم اللغة وأنواعها جلال الدين السيوطي تع: محمد أبو الفضل، إبراهيم وعلي محمد البحاوي، المكتبة العصرية صيدا

بيروت، لبنان، ص 212

2 أساس البلاغة، للزمخشري، ص 08.

ربما تختلف عن الأولى من حيث الدلالة ضيقاً أو اتساعاً، ويبدو أنه لم يلجأ إلى الاستشهاد بأقوال معاصريه أو حتى عامة الناس إلا بعد عمر مديد من تعلم العربية وتقنن في أساليبها لأنه ألفت أساس البلاغة في أواخر حياته وكما أن تجواله الكثير في ربوع البلاد العربية مكنه من سماع لغات العرب في مختلف الأماكن إذ يقول: "وطئت كل تربة في أرض العرب".¹

ومنه نستنتج أن الزمخشري قد أدرك أن مهمة اللغة هو حسن البيان والتبيين واللغة مجال خصب يثري ويطور، بالإضافة إلى إحساسه في نفسه بمقدرة كبيرة في اللغة، جعلته يتجرأ ويكتب وينتقي الجيد من الكلام ويحكم عليه بالبلاغة أو الفصاحة بكل ثقة ورزانة وهذا الأمر يحتاج إلى فقه وشجاعة ولولا وجود كل ذلك عند الزمخشري لما أثبت ذلك في البلاغة.

1 أساس البلاغة، للزمخشري، (ت ر ب)، ص37.

اعتماد المجاز في أساس البلاغة:

إن من أهم ما يشد انتباهنا عن مطالعة معجم أساس البلاغة للزمخشري هو تفريق مؤلفه بين المعنى الحقيقي والمجازي للكلمة¹، ولقد تباهى الزمخشري بهذه الخاصية في معجمه إذ قال: "ومنها قوانين فصل الخطاب، والكلام الفصيح بإفراز المجاز، عن الحقيقة والكناية عن التصريح.²

أي أن عنايته الشديدة بالمجاز حيث أفرد له قسما خاصا في أكثر الموارد وأشار إلى أن مجموع المادة في أساس البلاغة تبلغ ثلاثة آلاف وسبعمائة وواحد وثلاثين (3731 مادة) منها ألفان ومئة وعشرة (2110 مادة) ذكر بها المجاز إلى جانب

المعنى الحقيقي

ومن الأمثلة التي نكر فيها المجاز:

قال الزمخشري في مادة (ف ع م)³: أفعمت الإناء وإناء مُفَعَّمٌ ملآنٌ و ساعد فَعَمٌ وامرأة فعمة الساق ويقول المحسود لحاسده أْفَعِمْتُ بِيَمٍ وَغِصَّتْ بِسُمِّ أَي ملئت من حسدي بمثل البحر، ثم لا تجعل لك مَغِيصٌ إلا بسم مَنْحَرَكْ أو بمثل سم الإبرة في الضيق والمعنى: قلة المبالاة بامتلائه من حسده وقلة رغبته.

ومن المجاز: أفعمت البيت طيبا وأفعمته غضبا

1 ينظر اتجاهات البحث اللغوي في العالم العربي، رياض قاسم، مؤسسة نوفل، ط1، 1982، 317/2

2 أساس البلاغة، للزمخشري، ص، ل

3 السابق، (ف ع م)، ص344

وفي بعض الأحيان أن الكاتب يذهب بعيدا والغوص أكثر في معنى الكلمة فلا تكفيه

المجاز فيلجأ إلى ماسماه في الأساس: مجاز المجاز.

ما نقرأ في مادة (س و ف) "سوف الأمر: إذا قيل سوف أفعل وسأفه سوفاً واستأفه:

شمه... وقد أساف: وقع في ماله السَّوْفَ بالفتح والضم وهو الفناء.

ومن المجاز: كم مسافة هذه الأرض، وبيننا مسافة عشرين يوماً، للمضرب البعيد

وساوفته، ساررته... وفلان يقات السَّوْفَ أي يعيش بالأمان...¹

ومن مجاز المجاز: قول ذي الرمة:

وَأَبْعَدُهُمْ مَسَافَةَ عَوْرِ عَقْلٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ ذُو الشُّبُهَاتِ عَالًا¹

وإذا ما أردنا المقارنة بين المعنى المجازي وما تحت مجاز المجاز نلاحظ أن الثاني

يعتمد التجريد والغوص أكثر في المعنى النفسي ففي مادة (س و ف) المجاز فيها ينصب

على المسافة أو البعد بين الشئيين أو الأمانى أما في مجاز المجاز عند ذي الرمة فنجد

أسنده

إلى العقل وطريقة التفكير.

وقد استعمل الزمخشري كلمة المجاز استعمالاً واسعاً وهو إدخاله تحت مجموعة من

مظاهر البيان العربي، كالاستعارة، والتشبيه والكناية والتغليب والمجاز العقلي وغيرها، وفيما

يأتي بعض المواضع .

ففي مادة (ف ل ل): ومن المجاز فلان فلٌ من الخير، خال منه ،ومن الأرض
الفلُّ: غير الممطورة، وتقول فلان إن ذكرت الشر كان صِلاً، وإن ذكرت الخير كان فلًا
وشراب مُفْلَل: فيه لذعة اللسان، كأن فيه فُلْفُلًا، وهو مُفْلَل الشعر: شديد الجعودة قال أبو
النجم :

انتقض البروقُ سودًا فُلْفُلُهُ واختلف النملُ فصار ينقله¹

سمى حبة فلفلا لسواده على سبيل الاستعارة

ونجده يذكر التشبيه في باب المجاز كما في مادة" (ب ح ر) ومن المجاز امرأة

بحرية: عظيمة البطن شبهت بأهل البحرين، وهم مَطَاحِيلُ عِظَامِ البُطُونِ".²

كما أشار إلى الكناية في باب المجاز والمثال على ذلك مادة (ب د د) ومن المجاز

إستبد الأمر بفلان: إذ غلبته فلم يقدر على ضبطه

ومن الكناية: سمعت مُرشدَ بنِ مِعْضَادِ الخَفَّاجِي يقول: خرجت أبتدُّ كَنَى بِذَلِكَ عن

البول³

ولا ننسى أن مصطلحي الحقيقة والمجاز قد حدد مفهومها قبل الزمخشري على يد

العلامة عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة بعد كتابه دلائل الإعجاز ونلاحظ أن

الزمخشري قد استوعب كل ما كتبه عبد القاهر الجرجاني في الأسرار والدلائل ومضى يطبقه

تطبيقا على أي الذكر الحكيم وكأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من آراء عبد القاهر الجرجاني

1 السابق، (ف ل ل)، ص 347

2 أساس البلاغة، (ب ح ر)، ص 15

3 نفسه، (ب د د)، ص 17

إلا ساق عليها من السيرة والقرآن الكريم ولم يقف عند ذلك، فقد مضى يستتم هذه الآراء مضيفاً من حسه المرهف وعقله الثاقب".

ولقد ألف الزمخشري الأساس بعد الكشف الذي طبق فيه كل نظريات عبد القاهر الجرجاني، وجاء ذكر الكشف في الأساس في مادة (ح ف ر) وذلك في قوله: وقد ذكرت حقيقة الكلمة في الكشف عن حقائق التنزيل إضافة إلى ذلك:

"أنه إذا كان الزمخشري قد استعمل المجاز في أساسه بمعنى أوسع نطاقاً فإن ذلك لأنه لم يكن يعكف على تأليف بلاغي. بل على معجم لغوي وفرق بين الأمرين على الأساس مع ذلك يُعدُّ مُعْجَمًا بلاغياً".¹

ما قيل في أساس البلاغة:

(1) يقول ابن خلدون في مقدمته: ومن الكتب الموضوعية أيضاً في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز وسماه أساس البلاغة. بين فيه كل ماتجوزت به العرب من الألفاظ فيما تجوزت به من مدلولات وهو كتاب شريف الفائدة²

(2) قال الأستاذ الخولي في مقدمته للأساس ... يتداول الناس المعاجم الجديدة الحيوية في مادتها الوافرة، واستجابتها المسائرة وصورتها الناضرة، وترتيبها الميسر، وإخراجها المحبب... ويوم يكون ذلك - وهو لا بد كائن - تسمى المعاجم

1 الزمخشري لغويا ومفسرا ، مرتضي زاده الشيرازي، ص 270

2 المقدمة، لابن خلدون، الدار التونسي للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 2، 1982/ 716

القديمة مراجع تاريخية و مراحل أثرية...لكن حين يكون ذلك شأن عامّة المعاجم كاللسان والقاموس، والصحاح، وما إليهما يكون من بينهما معجم يستطيع أن يحيا حياة غير أثرية، ويقوم غير تلك القيمة التاريخية وذلك هو أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري¹

(3) و اسمه الأستاذ مرتضي آية الله زاده الشيرازي بقوله: "هذا المعجم الذي ألفه العلامة جار الله... ينطق بشخصية هذا الإمام الجليل العلمية، ويكشف عن مواهبه الفذة التي راعت شتى علوم اللغة العربية ودراستها ولهذا المعلم شهرة فائقة لجدة موضوعه وطرافة أسلوبه وحسن عرضه وتبويبه ولجمعه اللغة، والبلاغة في إطار واحد"²

(4) وجاء على لسان رياض قاسم: والعناية يذكر الحقيقة، والمجاز كل على حدة أمر تنبه إليه الزمخشري في أساس البلاغة فكان رائدا في هذا المجال. وهو مايعين الباحث كثيرا على تبصير المعنى، وتصريفه في شؤون الإنشاء والصناعة البيانية³

1 أساس البلاغة للزمخشري، ص هـ

2 الزمخشري، لغويا ومفسرا، زاده الشيرازي، ص 265

3 اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان 1901-1960) د. رياض قاسم، مؤسسة نوفل، الطبعة الأولى ج2،ص317

وجاء عند الدكتور أحمد محمد المعتوق: وأول معجم وضع على المنهج الهجائي الألفبائي وحضي بشهرة واسعة هو أساس البلاغة لجار الله محمود بن عمرو الزمخشري (ت 537 هـ) فقد تميز هذا المعجم بالرغم من صغره، وقلة محتواه من المفردات اللغوية قياساً إلى المعاجم الكبرى... تميز بأنه أول معجم اهتم فيه المؤلف بالتوسع الدلالي، حيث تولى فيه ذكر المعاني المجازية للكلمات بعد ذكر معانيها الحقيقية، كما اهتم بالتركيز على الكلمات والعبارات والأساليب المفضلة لدى البلغاء والأدباء والشواهد الشعرية والأدبية والأقوال البليغة عامة، ولذلك كانت أهمية هذا المعجم في مجال البلاغة والأدب كبيرة بالإضافة إلى أهميته كمعجم صغير مختصر الشرح واسع الاستدلال محكم التنظير ميسر المنهج¹

1 الحصيلة اللغوية: أهميتها ومصادرها ووسائل تسميتها د. أحمد محمد معتوق، سلسلة علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1996، ص 239.

طبعات أساس البلاغة:

طبع أساس البلاغة في القاهرة سنة 1299هـ وسنة 1327هـ وفي دار الكتب سنة

1344هـ وبمطبعة مصر سنة 1953م واعادت دار الكتب الطبعة سنة 1972م 1973م

كما طبع بدار الفكر ببلنجان بغير تحقيق وطبعته دار المعرفة بتحقيق الأساتذ عبد الرحمان

محمود دون ذكر السنة.

الفصل الثاني

الضوابط اللغوية وغير اللغوية في

معجم أساس البلاغة

أ- الضوابط اللغوية:

تعددت الضوابط اللغوية في معجم أساس البلاغة واختلفت منها الضابط الصوتي و الضابط الصرفي :

1-الضابط الصوتي:

ويضم هذا الضابط ما تكلم عنه اللغويون في أسماء الأصوات الطبيعية وهو وحي الأصوات واستيحاء الدلالات من الألفاظ وقد ذكره ابن جني في كتابه الخصائص وعقد باب امساس الألفاظ أشباه المعاني فقال: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجذب استطالة ومدا فقالوا صر وفي صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر."¹

مما يتبين أن علماء العربية كانوا يفرقون بين الكلمات المتقاربة في المعنى عن طريق نوع الصوت المميز للفظ عن آخر وإذا تكررت حروف الكلمة نجد أن الفعل مكرر مثل الزعزعة والقلقلة .

"قه الضاحك, إذ قال في ضحكه:قه فإذا كرر قيل قهقهة"²

ولا شك أن الضاحك حينما يبالغ في الضحك يصدر مقطعا صوتيا هو قه, ولذلك وصف في هذا النوع من الضحك به.وقد يحدث أن يمتد الضاحك بهذا الشكل في ضحكه

1- الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان، تح:محمد على النجار، دارالكتابالعربي، بيروت، لبنان، ج2/152

2- أساس البلاغة،(ق ه ه)،ص 380.

ومن ثم يتكرر مقطع قه أكثر من مرة فيسمى بذلك هذا الفعل القهقهة وكذلك مما يدخل تحت

هذا المنوال "وأوة الكلب ونقول ماسمعت إلا وعوة الذئب وأوة الكلاب"¹

فالكلب في تصويته يكرر مقطع (و أ) أكثر من مرة ،فسمى الفعل بذلك، والكلام نفسه

يقال عن الذئب الذي لانمیز من صوته إلا مقطعا يرد فيه حرف العين متكررا فسمي بذلك

صوته

هذا (وعوة) تناسبا مع مايسمع من أصوات.

فالحرف الذي يحل محل آخر يسبب في تغيير معنى الكلمة ومن ثم يحمل على

عائقه معنى والمثال على ذلك قول الزمخشري " رمز إليه وكلمه رمزا بشفتيه وحاجبيه ويقال

جارية غمازة بيدها، همّآزة بعينيها، لمآزة بفمها، رمآزة بحاجبيها"²

إذا فكل حرف من الحروف (العين،الهاء،اللام) حينما يحل محل الراء في الفعل

(رمز) يحوّل الدلالة ويوجهها وجهة غير التي أعطيت بوجود الراء.

ونجد الشيء نفسه في فعل "لتم" "يقال": "لطم خده ولدّم صدره ولتم نحره،إذا طعن فيه

بشفره أو ضربه"³

-فتعويض الحرف الثاني وهو التاء يؤدي إلى تغيير في الدلالة وضبط المعنى

المقصود من وراء المعنى الجديد.

1- السابق، (و أ و أ)، ص480

2- نفسه، (ر م ز)، ص178

3- نفسه، (ل ت م)، ص403

النحر (تم)

الخد (لطم) لتم

الصدر (لدم)

- وتدرج تحت هذا الضابط ظاهرة النبر وهو "ازدياد وضوح جزء من

أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"¹

- فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعه من الكلمة.

- "فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل إسما إذا كان النبر على المقطع

الأول منها فإذا انتقل النبر على المقطع آخر من الكلمة أصبحت فعلا"²

- وكما يكون النبر في مقطع الكلمة يكون في كلمات الجمل أيضا .

- في حين نجد موطن آخر يقع فيها هذا الاستبدال، إلا أن الزمخشري

ينص على أن المعنى لم يتغير في "بدهه أمر: فجنه , وبدهني بكذا: بداني به...وله

بدائع وبدائه"³

1- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء، د ط، د ت، ص 170.

2- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة أنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، 1984، ص 46

3- أساس البلاغة، (ب د ه)، ص 17

-فهنا أبدلت الهاء بالهمزة فتحول الفعل من بده الى بدأ ولكن دون أن يلحق ذلك

تغييرا بالدلالة

ومنه "برع الجبل وفرغه:علاه وكلُّ مشرفٍ بارعٌ وفارعٌ¹

نلاحظ أن الفرق بين الحروف المستبدلة التي تُحدث تغييرا في الدلالة وبين التي

لا تُحدث ذلك أن هذه الأخيرة تكون قريبة المخرج من الحروف المستبدلة , ولا يشترط ذلك في

الأولى ,حيث أبدلنا الهاء بالهمزة (يده) وجدنا أن مخرج كل منهما من أقصى الحلق والياء

والفاء في (فرع) و (برع) مخرجهما متقارب فالباء مخرجها ما بين الشفتين والفاء من باطن

الشفة السفلى وأطراف الأسنان.

ويُدرج تحت هذا الضابط عدة ظواهر منها التنوين وهو نون ساكنة وهذه النون

لها تأثير كبير في المعنى ضبطا وتوجيها, ولقد تكلم العلماء على هذه الظاهرة الصوتية

وجعلوا لها أغراضا منها:التمكين،التنكير،العوض،المقابلة²

-فمثلا إذا سمعت "شخصا يتحدث في أمر معين لا يرضيك فتقول له :صه

(بسكون الهاء) فكأنك تقول له أسكت عن الكلام في هذا الأمر الخاص,ولك أن تتكلم في

أمر آخر إن شئت ,أما إذا قلت له صه (بالكسر والتنوين) فمرادك :أترك الكلام مطلقا

في جميع الموضوعات,لا في موضوع معين³

1- أساس البلاغة،(ب رع)،ص 20

2- النحو الوافي،عباس حسن،دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة،ج1/ص33

3- نفسه، ص35

وقد جاء في أساس البلاغة "أبهت به إذا صحت به، وإيه حديثاً استتراده إيه

لأُحَدِّثُ كُفَّ" 1

-نلاحظ أنّ الزمخشري جعل دخول التنوين بغير إسم الفعل تغييراً عكسياً فهو

يعني (بدون تنوين) طلب شيء، وإلّا استكثر منه، وبالتنوين (فتحا) الامتناع عنه

والرغبة عنه، وقد أغفل الكاتب الصورة الثانية لكلمة (إيه) وهو تنوين الكسر الذي يحدث

تغييراً في رفعة الدلالة.

ومن الظواهر الصوتية التي تدرج تحت هذا الضابط ظاهرة التنغيم:

"هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام" 2

وما يوضح لنا دور التنغيم في الألفاظ والتراكيب هو باب الأساليب حيث نجد

الاستفهام في باب الأمر والأمر في باب الاستهزاء والترجي يؤدي معنى التهديد أي انتقال

هذه الأساليب من أبوابها الأصلية إلى المعاني الأخرى إلا بالتنغيم وطريقة الألفاظ.

"وجماد له: دعاء على البخيل بجمود الحال ونقيضه حماد له وروي بالعكس الأول

بالحاء والثاني بالجيم وأنه يدعو لها، ونهى أن تدعو عليها" 3

قال الزمخشري يشير إلى تنغيم الألفاظ والتراكيب بعبارات يسوقها بعد المستشهد به

، وذلك بتحديد الغرض كأن يقول هذا على سبيل الدعاء فيعين بذلك القارئ على إعطاء

التغمة المناسبة للجملة بألفاظها.

1- أساس البلاغة، (أ ي هـ)، ص 13

2- علم الدلالة، محمد السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 210.

3- أساس البلاغة، (ج م د)، ص 63

- وجاء في مادة (ف ر خ): "...وفرخ شجرهم فراخا كثيرة، وهي ما يخرج في أصوله من صغاره ، وتقول هذيل :إن لم أفلع كذا فاني فرخ: يريد الحقارة، وسُمع منهم من يقول لراعيته :يافرختان يا مملوكتان، وسمعت العرب ويقولون فلان فرّاخ من الفروخ يريدون ولد زنا ،وقالوا: فلان فريخ قومه: للمكرم منهم شبه بفريخٍ في بيت قوم يرثونه ويرفرفون عليه ،وللمعاني متصرفات ومذاهب"¹

- فكلمة فرخ لها معانٍ تحدّدُها نغمة الجملة: فلان فرخ من الفروخ بمعنى الاحتقار والذمّ وفلان فريخ قومه بمعنى الإكبار والمدح وتعليق الزمخشري على التركيبين يجعل من يستصحب النغمة المناسبة ولولا هذا التنغيم لما ظهر المقصود بكلمة فرخ وقد قال الزمخشري للمعاني متصرفات ومذاهب أي أنّ المعنى المراد والمستقر في نفس المتكلم هو الذي يصرف في اللفظ ، والمتكلم قد لا يغير اللفظ من حيث التركيب ولكنه يغير معناه بواسطة طريقة النطق وهو التنغيم.

2- الضابط الصرفي:

الصرف هو "تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي، فالأول كتغيير مفرد الى التثنية أو الجمع، وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف والثاني كتغيير قول وعزّو إلى قال وعزّا ولهذين التغيرين أحكام كالصحة والإعلال وتسمى تلك الأحكام علم التصريف"²

1- أساس البلاغة، (ف ر خ) ،ص 337.

2- أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، ابن هاشم الأنصار، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج4/ص360.

بمعنى أنّ الصّرف هو قواعد يعرف بها تغيير بُنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي أي أنّ الكلمات تحدثُ فيها تغييرات متعددة من حالة الى أخرى تتاسب المعنى المقصود.

والمورفيم: هو أصغر وحدة في علم الصرف أي اصغر جزيئه لغوية تعطي معنى ولا يمكن تقسيمها الى جزيئات أقل

فمثلا يقول الزمخشري في مادة(ك ل ا):"الله يكلؤك ، وتداركه الله بكلاءته واكتلات منه.احترست

وكلاً دينه كلوء¹ :تأخر فهو كالى ...واستكلاًت كلاًتاً.وتكلاًت :استلفت سلفاً
وأصابو كلاً واسعاً وأكلاءً وهو المرعى رطبا كان او يابسا....

وبلغوا كلاً النهر ومكلاه :وهو مرفأ السُفن وحيث تُستَرُّ من الريح وتكلاًً وبلغ الله بك
أكلأ العمر,وفي مثل من مشي في الكلاء فدفناه في الماء,أي من وقف موقف التهمة لمناه
نديم النظر إليها كأنك تكلاًها لإعجابك بها ومنه كلوء العين: ساهرها لأنّ السّاهر يوصف
برقبة النجوم وعين كلوء وناقاة كلوء العين¹

فالمورفيم كلاً يحمل معنى حرس,و ولكن حينما لحق به سوابق أو دواخل تغير
المدلول فحين نقول كلاً الله فلان بمعنى حرسه, واكتلاً فلان بمعنى احترس واستكلاًت طلبت
الحراسة وكلوء العين بمعنى ساهرها.

فمادة "(ه ف ف) مثلا كالاتي:

-هفّ الريح _____ أحدثت صوتاً

-ريح هَفَافَةٌ — سريعة المَرِّ

-سحاب هِفٌّ — أراق ماءه

-أهفَّ السرابُ — برق

-امرأة مهفهفة — ضامرة¹

-فالمعنى القاعدي الذي يتضمنه هو السُّرعة، فالمورفيمات رغم اختلاف صيغها متوحدة في المعنى الذي يتضمنه الأصل الثلاثي للكلمة.

- فإذا كانت الصيغة الصرفية إحدى ركيزتي المعنى المعجمي، كان المعنى الوظيفي المنسوب إلى الصيغة عنصراً من العناصر المعنى المفرد للكلمة فإذا التمسنا المعنى المعجمي لكلمة قاتل: أما العنصر الآخر فيأتي من أصولها الثلاثة: القاف، والتاء، واللام وهو العنصر المشترك بين جميع مشتقات هذه المادة، على اختلاف صيغها الصرفية فكل كلمة من مشتقات هذه المادة تحمل في طيِّها قسطاً من العطاء الدلالي للأصول الثلاثة المذكورة، ثم تختلف عن أخواتها بحكم الصيغة²

-فالفعل قَتَلَ على وزن فَعَلَ فنقول مثلاً: قتل الرجل عدوه، وقاتل على وزن فاعل مثل: قاتل الرجل مع عدوه، وتقاتل على وزن تفاعل مثل: تقاتل الرجل مع عدوه، ومقتلة على وزن مفعلة مثل: ضربه فأصاب مقتله، استنقتل على وزن استنقل مثل: استنقتل فلان بمعنى

1- أساس البلاغة، (ه ف ف)، ص 396

2- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1993، ص 06

استسلم للقتل، ، اقتال على وزن افعال:قوم اقتال على وزن أفعال:قوم اقتال بمعنى ترات(تارات).¹

وقد أدرك علماءنا القدماء أهمية الصيغة في تحديد مدلول الكلمة، حتى جعلوا الصيغ علامة على دلالات بعينها.

قال ابن خلوية في شرح الفصيح:العرب تبني أسماء المبالغة على اثني عشر بناء فَعَّال كفساق، وفعل كغدر وفَعَّال كغَدَّار وفَعَّال كغَدُّور، ومفعيل كمعطير ، ومفعال كمعطار ، فعلة كهُمزة وُلمزة ، وفعولة كملولة ، وفعالة كعلامة ، وفاعله كراوية، وخائنة، وفعالة كبقاقة لكثير الكلام ومفاعله كمجزامة ، ومن هذه الصيغ كذلك التي تدل على التصغير²

يتبين لنا أن بنية الكلمة مرتبطة كثيرا بالدلالة وأن الصيغة الصرفية تدخل وتساهم في تحديد معنى الكلمة.

وقد جاء الزمخشري " وليئم راضع ورَضَّاع: مبالغ في اللؤم ,وأصله أن يرضع شاته لئلا يُسمع صوت حلبه...ولما نقلوه إلى معنى المبالغة بنوا فعله على (فَعَّل) فقالوا: رَضُّع رضاعةً فهو رضيع"³

وخير كثير، وكوثر:بليغ الكثرة ومنه: وملح القدر يملحها ملحًا، ألقى فيها ملحًا بقدر وأملحها وملحها: أفسدها بالملح. ¹

1- أساس البلاغة،(ق ت ل)،ص 354

2- المزهري في علوم اللغة و انواعها،عبد الرحمان بن ابي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي ،تح الشريبي الشريفة ، دار الحديث، القاهرة، ج2/243

3- أساس البلاغة، (ر ض ع)، ص 165

فمّمّا يتبين لنا أنّ النظام الصرفي في العربية له دعائم مهمة ترجع الى مقولات

الصياغة الصرفية كالطلب والصيرورة والمطاوحة.

"إنّ بنية الكلمة مرتبطة كثيرا وكل تغير في المبنى أو الصيغة الصرفية للكلمة يؤدّي

حتما الى تغير في الدلالة , يصل إلى حدّ التناقض في بعض الأحيان، وقد أدرك الزمخشري

ذلك: لمّا كان يشير الى دلالة اللفظة وتغير هذه الدلالة حينما يطرأ على هذه اللفظة تبديل.

ومثال تغير الصيغة الصرفية وتأثير ذلك على المعنى قولنا: "يقال أبْنُه اذا عابه وابْنُه

مدحه وعدّ محاسنه...."²

فالأولى (أبْن) على وزن فَعَلَ كانت بمعنى ذِكر العيوب وعدّ النقائص والثانية (أبْن) على وزن

فَعَلَ فضَعَّف العين فانقلب المعنى الى ذكر المحاسن وعدّ المكارم.

والملاحظة نفسها في مادة (ج د ع): "جَدَعْ أَنْفُهُ فهو مَجْدوع , وإذا لزم النعت قيل أجدعُ"³.

حيث جعل لكل دلالة صيغة صرفية, خاصة بها, فالمجدوع للوصف المؤقت , فإذا كان هذا

الوصف ثابتا مطّردًا استبدلنا مجدوعا ب أجدع

وحميت المكان : منعه أن يقرب فان امتنع وعز قلت أحميته أي صيرته حمى فلا يكون

الاحماء إلا بعد الحماية"⁴.

1- أساس البلاغة، (ك ث ر)، ص387

2- أساس البلاغة، (أ ب ن)، ص01

3- أساس البلاغة، (ج د ع)، ص53

4- أساس البلاغة، (ح م ي)، ص96

ف فعل الحماية (حميت) يطلق على ما منع وزيد عنه فقط ولكن اذا وفق الانسان في هذه الحماية وبلغ بها ذروتها أضيفت الهمزة للدلالة على ذلك.

ومنه نستنتج أنه كلما زادت الدلالة ثبوتاً كلما زاد مبنى الكلمة.

وقد يؤدي التغير في الصيغة الصرفية الى تغير عكسي في الدلالة فيصبح ذلك المعنيين متقابلين مثال " قذيت عينه وأقذيتها،أنا طرحت فيها القذى , وقذيتها وأقذيتها،أخرجته منها "1

فالفعل قذى من حيث الدلالة عكس الفعل قذي أو أقذى.

ويؤدي التغير في الحركة الواحدة الى تغيير في الدلالة يصل الى حد النقص والمثال على ذلك

"..... رأيت شيخاً دهرياً: مستأملحدا "2

شيخ دهري: بفتح الدال من المعتدين وبالدهر وبضمها مضى عليها دهر طويل.

"وخطه عوجاء , ورأي أعوج غير مستقيمين , ويقال في العود عوج (بفتح الاول والرأي عوج (بكسره)"3

بفتح العين تخص شيئاً مادياً كالعود, أما بكسر العين يتعلق بشيء , معنوي كالرأي.

1- أساس البلاغة،(ق ذ ي)،ص 359

2- أساس البلاغة،(ده ر)،ص 137

3- أساس البلاغة،(ع و ج)،ص 315

فنستنتج فيما سبق لم يتغير في الحروف شيئاً وإنما الذي تغير هو نطق الحرف والذي يكفي بتغيير الدلالة وتحديد المقصود منها.

ب- الضوابط غير اللغوية:

بعدما تحدثت عن الضوابط اللغوية (الصوتي و الصرفي) في معجم

أساس البلاغة جاء دور الضوابط غير اللغوية:

1- ضابط المقام:

يرى المحدثون أن وظيفة اللّغة الأساسية هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه وهذه الوظيفة تؤدّيها اللّغات بصورة أساسية بالرغم من إختلاف بيئتها وتباينها فيما بينها و فاللّغة مؤسسة إنسانية يَرْتدُّ كيانها إلى المجتمع الذي بتكلمها وهي الوسيلة التي تتيح للإنسان بصورة أساسية القيام بعمليات التواصل بينه وبين أفراد بيئته

وعليه فال"لغة ظاهرة إجتماعية وفي أحضان المجتمع تكونت ,وهي وسيلة الإنسان

الأساسية في عملية التواصل فهو تحاول بناء ذاته وعلاقاته بمحيطه بهذه الوسيلة.¹

وقد جاء في أساس البلاغة في مادة (ل غ و): لغا فلان يلغو وتكلم باللغو واللّغا

وتقول: زاغ عن الصّواب وصغا, وتكلم بالرفث واللّغا, ولغوت بكذا لفظت به وتكلمت وإذا

1- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام ،"مشال زكريا" ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع ،بيروت ،لبنان، الطبعة الثانية، ص 253.

أردت أن تسمع من الأعراب فاستغلهم: فاستنطقهم ؛ومنه اللغة: وتقول :لغة العرب أفصح اللغات,وبلاغتها أتمم البلاغات"¹

فاللغة هي تكلم وذلك يعني أنّ هناك طرف آخر (الملتقي) أي مشارك في العملية ، ولولا هذا المستقبل لما أدت اللغة الوظيفة الأساسية وهو التواصل فعمليتا التكلم والسماع متلازمتان في مادة (ل غ و) فالسماع ضرورة كما أن التفط ضرورة أيضا.

ويقول عبد العزيز الجرجاني(ت366هـ)"فلما ضرب الإسلام بجرانه, واتسعت ممالك العرب, وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القرى وفشا التأدب واختار الناس من الكلام ألينه وأسهله , عمدوا إلى كلّ شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً ، وألطفها من القلب موقعا"²

وقد تنبه العلماء العرب لدور المجتمع في اللغة ودلالاتها, وكيف أنّها تتشكل بالشكل الذي يريده المجتمع.

وميدان علم الدلالة يتجاوز حدود اللسانيات التي يتعين عليها وصف الجوانب الصوتية للغة قبل كل شيء ,فالدلالة ليست ظاهرة لغوية وإذا كان بالإمكان بناء الحقول الدلالية فانه ينبغي أنذاك الاعتماد وعلى معطيات الخارجية"³

1- أساس البلاغة،(ل غ و)، ص410

2- الوساطة بين المتنبي وخصومه، عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم محمد البجاوي، مطبعة عيسى حلي وشركائه، د ط دت، ص 18

3- مدخل الى علم الدلالة، شاكر سالم، محمد يحي تين، الديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 26.

ومن هذا المنطق تجاوز علم الدلالة الحديث دراسة اللغة في جوانبها الصوتية فقط بل

تعد ذلك الى ملابسات المحيط , وحالة السامع والمتكلم النفسية والاجتماعية

-الأمثال ودور المقام في فهمها:

لكل مثل كما هو معلوم مورد وضرب "ويقصد بالمورد المقام الذي قيل فيه هذا المثل

أو ذاك،ويقصد بالمضرب المقام المتجدد والمماثل والذي تصدق عليه ألفاظ المقام الأصلي"¹

لذلك نجد بعض المواد تعتمد على مثل معين، ولا يتم فهم المادة إلا إذا عرف القارئ

دلالة اللفظية الأساسية في ذلك المثل.

وقد جاء في أساس البلاغة مادة (ج ه ن):وعند جُهينة الخبير اليقين وتقول جُهينة

الأخبار، وحسبناك جهينة ، فوجدناك جهينة"²

فكيف للقارئ أن يفهم قوله جُهينة الأخبار ، أو حسبناك جهينة فوجدناك جهينة ؟

ولكن لو عرضنا المقام الذي قيل فيه لما وجدنا صعوبة في فهم المادة.

فجهينة قبيلة كان عندها الخبر الصحيح ، والعلم اليقين عمّا كان الناس يسألون عنه

بحيث أصبحت رمزاً لذلك ومقصداً ويصبح بعد ذلك جُهينة الأخبار جامع الأخبار الصّاح

وحسبناك جُهينة: عالماً مطلقاً.

1- الأمثال في القرآن الكريم، لابن القيم الجوزية،تح: سعيد نمر الخطيب ،دار المعرفة،بيروت،لبنان،طبعة ثالثة،ص17.18.

2- أساس البلاغة،(ج ه ن)،ص68.

ومنه نستنتج أنّ المقام نقل من جهة هذه اللفظة من اسم القبيلة إلى صفة العلم. كما أنه أصبح يحدّد المقصود من دلالتها من جهة أخرى.

وجاء في مادة (ف ر ا): كلّ الصيد في جوف الفرا¹ هو الحمار الوحشي وقد اكتفى الزمخشري بذلك في هذا المعنى. وكأنه يفترض في السّامع معرفة مقام المثل والذي بدونه لا يفهم المقصود من لفظة "الفرا" إذا لم تصبح تعني الحمار الوحشي، وإنما تفيد ما أريد لها حيث أطلقت .

ويروي في ذلك:

"أنّ ثلاثة لقد خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ضبياً، والثالث حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الضبي بما تلاه وتطاولاً عليه، فقال الثالث كلّ الصيد في جوف الفرا، أي هذا الذي رزقت وظفّرت به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس ما يصيد الناس أعظم من الحمار الوحشي"²

فبفضل سرد هذا المقام وهذه الملايسات تبين أنّ لفظة (الفرا) قصد بها المتكلم ردّاً تطاول الغير عليه، ومحاولة الاعتبار، الافتخار بما في الحوز.

وفي مادة (م ر ق)، يقول: "ومن المجاز هو مارق من المُرّاق والمارقة، ومَرَق من الدين مُرُوقاً، وامترقت الحمامة من الكوّة، وامترق من البيت: أسرع الخروج ... وأمرق: أبدى

1- أساس البلاغة، (ف ر ا)، ص 336

2- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، دت، ج 109/2

عورته، ومرقت الصبغ من العصفر أخرجته ، ويقال: ما أنت بأنجاهم مرقة، وما أنت بأحرزهم مرقة أي ما أنت بأسلمهم نفساً وأصله أن رجلاً أفلت بين قوم أخذوا فقيل ذلك.¹ ومنه نستنتج أن الزمخشري كان مدرّكاً لأهمية المقام في ضبط دلالة ألفاظ الأمثال ولذلك نجده في مواطن أخرى يذكر المهم من أصل المثل أو مقامه الذي قيل فيه.

2- الضابط العقلي:

قال الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾²

اللغة هي الصورة الخارجية للعقل، ونحن نستدل على عقل ما، من خلال اللغة التي يصدرها صاحبه فإذا كانت تسيّر على سننٍ معينة فهو عاقل وإذا كانت فوضوية غير عقلية قلنا أنه مجنون.

وعليه نستطيع القول أنّ التفكير و التعبير شيء واحد، وأنّ اللّغة في الواقع ما هي إلّا فكر ناطق، بل نستطيع القول إلى هنا ينتهي التفكير، ومن هنا تبدأ اللّغة، كما أنّنا لانستطيع أن نعتبر إحدى هاتين الظاهرتين واسطة، والأخرى غايةً إذ هما في الواقع شيء واحد³ *اللغة فكر ناطق. فبواسطة اللّغة يتم التعبير عن الشيء ومنه فالتفكير والتعبير شيء واحد. وجاء في مادة (ع ق ل) :

1- أساس البلاغة، (م ر ق)، ص 427

2- سورة محمد، الآية 30.

3- المولد في العربية: دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الاسلام، د حلمي خليل، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ص 26

"ما لفلان مقول، ولا معقول، وما فعلت كذا منذ عقلت، وعقل فلان منذ الصبا: أي

عرف الخطأ الذي كان عليه، وهذا مريض لا يعقلُ واعتقل لسانه: إذا لم يقدر على الكلام

واعتقل الفارس رمحه: وضعه بين ركابه وسرجه.

وفلان معقل قومه: يلتجئون إليه.

ومن المجاز: نخلة لا تعقل الإبار: إذا لم تقبله"¹

نلاحظ أنه لم يجعل في مادة (ع ق ل) الدلالة المشهورة وهي الربط وإنما قَدَّم الدلالة

المعنوية، كما نجد الصلة بين العقل واللسان (اللغة) واضحة في هذه المادة

اعتقل لسانه ذهب عنه الكلام.

في مادة (لغا) فلان يلغو، وتكلم باللغو واللغا، وتقول زاغ من الصواب وضعا، وتكلم

بالرفث واللغا.

وتقول: اسمع لغواهم، ولا تخف طغواهم"²

حين تنفصل اللُّغة عن العقل والتفكير تصبح لغوا أي الخروج من الصواب، أي لا بد أن

لا تنفصل اللغة عن العقل والتفكير.

وقد رأى أحد الباحثين أن اللغة "تنظيما عقليا فريداً من نوعه تستمد حقيقتها من حيث أنها

مادة التعبير والتفكير الإنساني الحر"³

1- أساس البلاغة، (ع ق ل)، ص 309.

2- أساس البلاغة، (ل غ و)، ص 410

3- الألسنة علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، مشال زكريا، ص 74

فاللُّغة نشاط عقلي باعتبارها مادة تعبير و تفكير إنساني.

وفي القديم نجد علماء الأصول كانوا أول من شُغل بمشكلة اللفظ والمعنى تاريخياً وذلك لارتباطها بالحكم الذي يراد فهمه وتطبيقه إذ الحكم في عمومه لا يخاطب الوجدان وإنما يخاطب العقل الذي هو مناط التفكير، ودعامة الإقناع ووسيلة الفهم.¹

ونجد ضابط العقل في "العلاقة التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة، وبين بقية العناصر وذلك كعلاقة الإسناد التي هي نسبة عنصر الحدث الذي في معنى الفعل إلى فاعله أو واسطة وقوعه أو محل وقوعه كالذي في: قام زيد، ومات عمر، وانكسر الاناء..."²

فهذه العلاقة هي ما يسميه اللُّغويون القرينة العقلية. فعند قولنا:

اسناد حقيقي.	زيد قام بالفعل	قام زيد
اسناد مجازي	عمر لم يقم بالفعل	مات عمر
اسناد	الزجاج لا يعقل أن يقوم بالفعل	انكسر الاناء

مجازي.

فهذه التحليلات تقع على مستوى العقل بسرعة كبيرة جد ، فيدرك الإسناد الحقيقي

والإسناد المجاز

1- ينظر دراسات في القرآن، سيدخليل، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 47-48.

2- البيان في روائع القرآن، تمامحسان، ص 07.

"ويحكم العقل لأحد الأمرين بالتقدم ثم لا يتوقف المعنى على تقديمه في الكلام، وإنما

يُؤمّن اللبس على رغم انعكاس رتبة الأشياء" ¹

أي أن الضابط العقلي عند اقتضاء الأمر عدم احترام الرتبة فيقع التقديم والتأخير

ويكون المعنى الحاصل من ظاهر التركيب فاسداً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ، وَأَظْلَمْنَا لَهُ لُؤْلُؤًا﴾ ²

فالمعروف من سياق الآية أن امرأة زكريا عقيم، وأن حملها بغلام لا يتم إلا بعد

إصلاح حالها، وإزالة عقمها بإرادة الله، فالمعقول أن يتم إصلاحها أولاً ثم يترتب على ذلك

أن يأتي الغلام هبة من الله لوالده، جاءت الآية وهي تقدم الهبة لأنها هي المظهر الأوضح

للإستجابة.

جاء في مادة (ج أ ر): جأر العجل، وجأر الداعي إلى الله: ضجّ ورفع صوته.

ومن المجاز: جأر النبات: طال وارتفع كما يقال: صاحت الشجرة إذا طالت... ³

فكلمة جأر عند المتكلم والسّامع على السواء تتعلق بالصوت المرتفع، ولكن حينما

تطرق أذان السّامع: جأر النبات، فهو يقوم بطرح مجموعة من الأسئلة حتى يصل الى المعنى

المراد من الفعل المستعمل.

1- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص. 95.

2- سورة الأنبياء، الآية 90.

3- أساس البلاغة، (ج أ ر)، ص. 50.

ومنه نستنتج أن المقصود بالجأر هو ارتفاع شكل النبات ونموه، لأن الجأر بالصوت

من صفات الإنسان أو الحيوان وليس له أي علاقة بالنبات.

فمن هذا المثال نستنتج أن العقل يقوم بتحويل دلالة اللفظ من معناه الأصلي إلى

المعنى المراد في الكلام.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه المسيرة الطويلة والتي دامت شهورا عشتها مع هذا الموضوع، إلى أن وصل لصورته الحالية بتوفيق الله وعونه قدّمت فيها ما تيسر لي الإطّلاع عليه و الإلمام به و الوصول إليه في محاولة جادّة لخدمة هذه اللّغة الشريفة لغة الضاد.

وبعد أن وفّقني الله-عزّوجل- لإتمام هذا البحث ، أودّ أن أذكر بإيجاز النتائج التي توصلت إليها أثناء مُعالجتي لمسائل هذا الموضوع ، ولقد تعرضت في هذا البحث إلى علم الدلالة، وهو من أصعب ميادين اللّغة وأغمضها ويرجع ذلك إلى تعدّد القيم المحيطة بدلالة اللفظة المركزية من اجتماعية ونفسية وثقافية.

-كما للمتكم دور في دلالة اللفظة، للسامع أيضا مهمة لا تقل عن الأولى في توجيه المعنى وعليه وجب الاعتناء بالقطبين معا (المتكلم والسامع) وهذا ليس بالأمر الهين وقد بذل العلماء قديما وحديثا جهودا جبارة في هذا الميدان.

وإن كان لا بد من عرض نتائج البحث، فإنّه بالإمكان إيجازها فيما يلي:

1 - أنّ دراسة المعنى أصعبُ بكثير من دراسة المبنى، لأنه إن تم لنا التحكم في اللفظ (اشتقاقا وإبدالاً) سهّلت معرفة قوانين تغييره الصوتية منها والصرفية.

2 - ضرورة تحديد ضوابط للدلالة في اللفظ العربي، حيث يتسنى للمتكلمين استعمال

اللغة أكثر نجاعة وأحسن تركيزا.

3- غلب على معجم أساس البلاغة الضوابط اللغوية لاعتماد صاحبه على اللغة

المكتوبة.

4- إن المعجم كتاب كسائر الكتب يظهر ثقافة صاحبه، واتجاهه في الجانب اللغوي،

أو العقيدي أو الفني.

5- تميز أساس البلاغة عن المعاجم الأخرى بتركيزه على المعنى المجازي والمعنى

الحقيقي للفظه معا والتصريح بذلك.

6- اعتماد الكلام البليغ في شرح المفردات، دون أن يحصر ذلك في عصر

الاستشهاد وهذا ما يوحي بمدى تمكن الزمخشري من الجانب الفني في اللغة العربية.

7- صغر حجمه بالمقارنة مع المعاجم الأخرى، وهذا يرجع الى أن كاتبه جعله تطبيقا

ونموذجا لأثواب البلاغة العربية ولذلك سماه أساس البلاغة.

8- اعتماده على الضوابط غير اللغوية باستعمال الإنسان العقل في ترتيب الألفاظ

وإسنادها وإبداع الصور. وبالتالي يكون قد شارك في بناء وإثراء المبنى اللغوي في اللغات

الإنسانية باختلاف صورها.

قائمة المصادر و المراجع

* القرآن الكريم : برواية حفص عن عاصم .

- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان 1901 1960)،رياض

قاسم، مؤسسة نوفل ،لبنان ،الطبعة الأولى

- أساس البلاغة،الزمخشري جار الله أبو القاسم محمد بن عمر ،تح:عبد الرحمن

محمد،عرف به أمين خولي،دار المعرفة،بيروت.

- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،مصطفى صادق الرافعي،مكتبة رحاب،دط،دت.

- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة ،ميشال زكريا،المؤسسة الجامعية

للدراسات و النشر و التوزيع،لبنان ،الطبعة الثانية،1983.

- الأمثال في القرآن الكريم،ابن القيم الجوزية،تح:محمد سعيد نمر الخطيب،دار

المعرفة،بيروت،لبنان،الطبعة الثالثة،1983.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،الإمام ابن محمد عبد الله جمال الدين بن

يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام ،المكتبة العصريةصيدا،بيروت،لبنان،دط،دت.

- البلاغة تطور و تاريخ،شوقي ضيف،دار المعارف،الطبعة السادسة، بيروت دط ،

دت.

- البيان في روائع القرآن ،دراسة أسلوبيةللنص القرآني، تمام حسان،عالم

الكتب،القاهرة،الطبعة الأولى،1993.

- التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ،محمد نجي الصيادي،مكتبة دراسات الوحدة

العربية،الطبعة الثالثة،1989.

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار الجوزي، الرياض.

- الحصيلة الغوية أهميتها مصادرها ووسائل تنميتها، محمد أحمد معتوق، المجلس الوطني للثقافة و العلوم و الآداب ، الكويت، 1996.

- الخصائص، ابن جني أبو الفتح، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة أنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، 1984.

- الزمخشري لغويا ومفسرا، مرتضى آية الله الشيرازي، دار الثقافة، القاهرة، 1977.

الصاح، اسماعيل ابن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة

الثانية، 1984.

- علم الدلالة بين النظرية و التطبيق، فايز الداية، دار الفكر ،دمشق

سوريا، 1958.

- علم الدلالة، أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1998،

- علم اللغة، محمد السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.

- القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفبروز ابادي، دار الجيل،

بيروت، دط، دت.

- اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، دت.

- لسان العرب، أبي جمال الدين محمد بن مكرمانب منظورا لإفريقي المصري، طبعة

جديدة محققة، دار صادر، بيروت، لبنان.

- مجمع الأمثال ،أبو الفضل أحمد بن محمدالنيسابوري الميداني،منشورات مكتبو الحياة،بيروت ،دط،دت.

- مدخل إلى الألسنية ،يوسف غازي،منشورات العالم العربي،دمشق،الطبعة الأولى،1958.

- مدخل إلى علم الدلالة،سالم شاكر،تر:محمد بحياتين،ديوان المطبوعات الجامية ،الجزائر.

- معجم العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي،تح:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان.

- مفتاح العلوم ،يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي،تح:نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية.

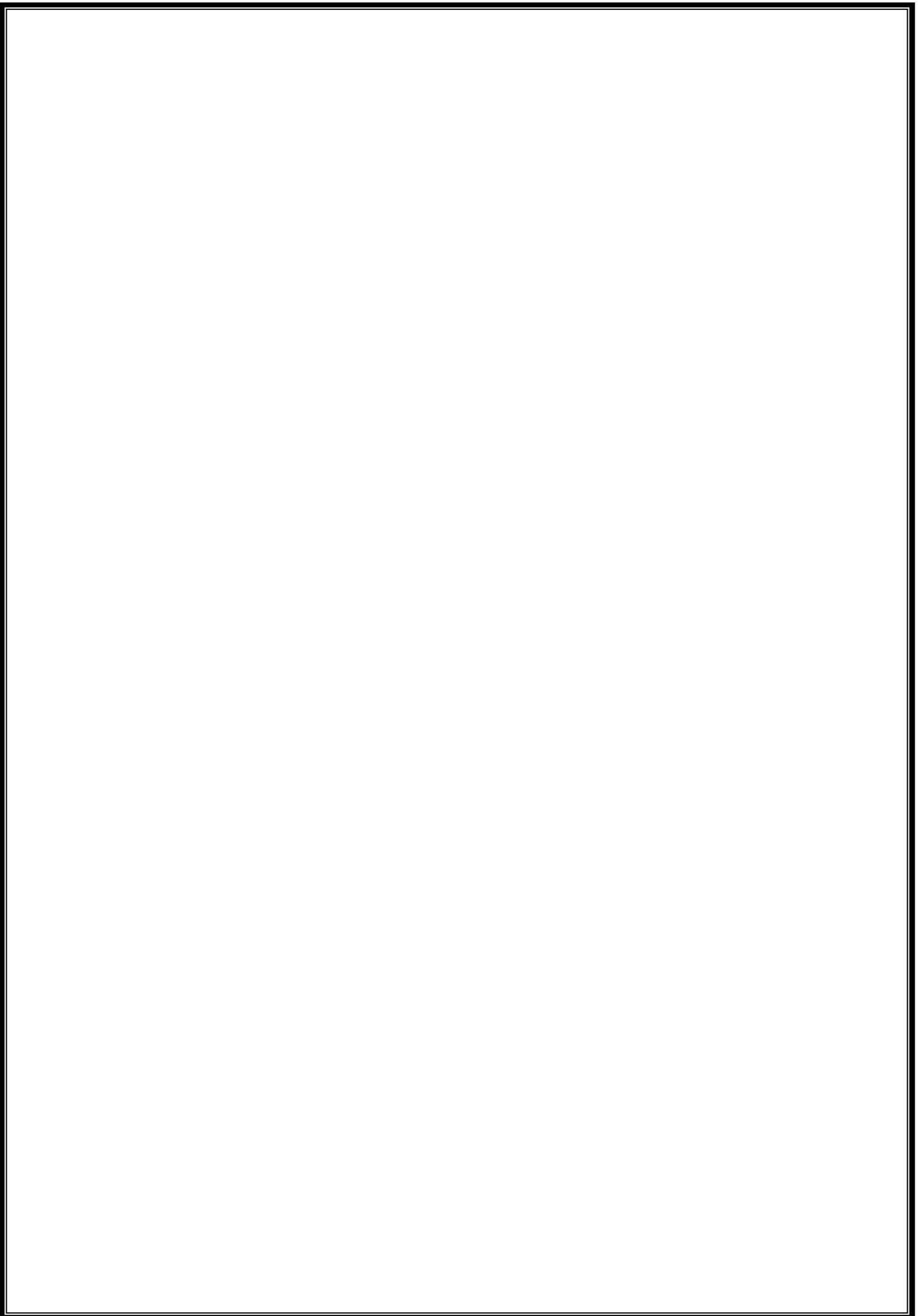
- المزهرة في علوم اللغة وأنواعها ،جلال الدين السيوطي ،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1987.

- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث،محمد أحمد أبو الفرج،دار النهضة ،الطبعة الأولى،1966.

- المعجم العربي،حسين نصار،مكتبة مصر،الطبعة الثانية،1962.

- المعجم العربي بين الماضي و الحاضر،عدنان الخطيب،مكتبة لبنان ناشرون،الطبعة الثانية،1994.

- المقدمة ،ابن خلدون،الدار التونسيةللنشر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1982.
- النحو الوافي ،عباس حسين،دار المعارف ،القاهرة،الطبعة الثامنة،دت.
- الوساطة بين المتنبي و خصومه،عبد العزيزالجرجاني،تح:محمد أبو الفضل إبراهيمو محمد البجاوي،مطبعة عيسى حلبي و شركائه،دط،دت



فهرس البحث :

الصفحة	الموضوع
أ ب ج	مقدمة
-1	مدخل
	1 - معنى الدلالة
1-1	▪ لغة
5-2	▪ إصطلاحا
7-5	2 - المقصود بالضابط لغة و اصطلاحا
8	الفصل الأول : وصف معجم أساس البلاغة للزمخشري
12-9	1 - تعريف المعجم لغة و اصطلاحا.
14-12	2 - لمحة تاريخية عن المعجم العربي.
	3 - وصف معجم أساس البلاغة.
16-14	▪ حجم المادة اللغوية
17-16	▪ ترتيب المواد.
22-17	▪ طريقة شرح الكلمات.

25-22	الإستشهاد في أساس البلاغة.	▪
28-25	إعتماد المجاز في أساس البلاغة.	▪
30-28	ما قيل في أساس البلاغة.	▪
31	طبغات أساس البلاغة .	▪
32	الفصل الثاني : الضوابط اللغوية و غير اللغوية في معجم أساس البلاغة.	
33	1 - الضوابط اللغوية.	
38-33	الضابط الصوتي.	▪
44-38	الضابط الصرفي.	▪
44	2 - الضوابط غير اللغوية.	
48-44	الضابط المقامي.	▪
	الضابط العقلي.	▪
	52-48	
55-53	3-خاتمة.	
60-56	4-قائمة الصادر و المراجع.	
62-61	فهرس البحث.	